حسن حميد

بطاقة

حسن حميد - مواليد ١٩٥٥ - كراد البقارة - قضاء مدينة صفد - فلسطين.

حاصل على شهادة الدكتوراه من الجامعة اللبنانية - علم اجتماع المعرفة.

عمل رئيس تحرير جريدة الأسبوع الأدبي (اتحاد الكتاب العرب).

عمل رئيس تحرير مجلة الموقف الأدبي (اتحاد الكتاب العرب).

عمل مدير تحرير لمجلة الفكر السياسي (اتحاد الكتاب العرب).

شارك في أبحاث الموسوعة العربية (سورية - دمشق، تونس).

ترجمت بعض أعماله الأدبية المطبوعة إلى: الانكليزية - الروسية - الألمانية - الإسبانية - الفارسية - الأرمنية - الصينية.

فاز بجوائز عدة منها: جائزة محمود تيمور للقصة القصيرة (مصر)

جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية (مصر) - جائزة سعاد الصباح للرواية (الكويت).

obeikandl.com

صدر له: ١٥ مجموعة قصصية، وست روايات، فضلا عن ست دراسات أدبية. وهي:

السواد أو الخروج من البقارة - تعالي نطيِّر أوراق الخريف - جسر بنات يعقوب - الوناس عطية - أنين القصب - مدينة الله -

كما صدر له ست دراسات أدبية منها البقع الأرجوانية في الرواية الغربية (كافكا - جويس - سرفانتس - بروست - دوستويفسكي) - الأدب العبري - المرجعيات - المصطلحات - الرؤى

*** بداية، هل يمكن أن نعود إلى البدايات، وما هي أهم المؤثرات التي لعبت دوراً في توجهك نحو القصة والرواية**

بداياتي الأدبية كانت كتابات للرسائل، والقصائد، والقبور. كتبتُ الرسائل لأصدقائي الذين كانوا أكبر عمراً مني، وذلك لاستمالة عشيقاتهم إليهم أكثر، كما كتبتُ القصائد التي ترثي الشهداء، وما أكثر الشهداء أيام ذاك، وما أوقع أثر مجيئهم في الخشب الصقيل في النفوس وقد عادوا إلى المخيم والبهجة تحفهم، وزغاريد نسوة المخيم تلفّهم، وكتبتُ أيضاً أبيات الشعر، وعبارات التمجيد على شواهد القبور.. تلك كانت البدايات مع الكتابة، وحين امتدت بي التجربة ظننتُ نفسي شاعراً بحق، فالجميع في المخيم ينادونني بشاعر المخيم، والمناسبات تناديني، والصحف والمجلات تنشر قصائدي.. لكن ذلك لم يكن، في حقيقة الأمر، سوى حُسن ظنٍّ وحسب، لأنني سرعان ما استجبتُ لنصيحة الشاعر السوري الكبير علي الجندي الذي هداني إلى كتابة القصة القصيرة لأنه لاحظ أن خيطاً سردياً ينتظم القصائد التي أكتبها، وقال لي إنه كان يكتب القصة القصيرة وينشرها أيضاً، لكن قناعته كانت منصبة على أنه شاعر وليس قاصاً، لذلك ترك القصة لأهل القصة (ويقصد زكريا تامر)

وتحول إلى الشعر. وهذا ما كان فعلاً، كتبتُ القصة القصيرة وعملتُ عليها ولم أعد إلى الشعر إلا عودات سرانية.

واستطيع القول أن صحف ومجلات المقاومة الفلسطينية هي التي أخذتني إلى الكتابة، هي التي وعتني بأهمية الكتابة ودورها. وذلك لأننا كنا في المخيم، نحن الطلبة القرائيين، نهّرب صحف ومجلات المقاومة إلى بعض الأمكنة، وبعض الأشخاص، وبعض الجهات على جلودنا، تحت قمصاننا، تلك السريانية في الحرص على المجلات والصحف بعيداً عن عيون أهلنا، أولاً، والآخرين ثانياً هي التي جعلتني أتنبه إلى أهمية الكلمة ودورها، إلى أهمية الكاتب ودوره في الحياة، وقد تمنيت أن أصبح مستقبلاً كاتباً يظهر اسمه إلى جانب مقالاته على صفحات المجلات والصحف، ويصير من هم أصغر مني يهربون ما أكتبه تحت قمصانهم (العرقانة صيفاً، والمبللة بالمطر شتاءً). تلك كانت الشرارة التي صارت غبطة لي وأنا أقرأ قصائدي الأولى، وقصصي الأولى على أسماع أبناء مخيم جرمانا. كم كانت تلك الأيام نادرة..

*** نادرة لماذا؟ وأنا أعرف بأنها كانت صعبة وقاسية..؟**

نادرة.. لأنها كانت احتفالا. فالمخيم المشغول بغبار الصيف، وريح الصيف التي تقتلع الخيام يومياً، في الليل والنهار، وبوحول الشتاء وأمطاره، والمشغول بالجرحى، والأسرى، والشهداء، والأخبار الجارحة.. كان يهبُّ فجأة للاحتفاء بمولد شاعر أو أديب، أو موسيقى، أو أستاذ، الخ.. لذلك كنت تجد في أمسية المخيم الأدبية حضوراً كبيراً من الأميين أو المهمشين الذين لا يعنيهم الشأن الثقافي. كانوا يجلسون بانضباط التلاميذ في المدارس ليسمعوا الشعر. كانت الأمهات يزغردن لأبنائهن الشعراء أو القاصين حين تضج قاعة المخيم الوحيدة بالتصفيق لهم. وقد كانت أمي أمية من بين هؤلاء النسوة.

*** ألهذا.. كتابتك علوقة بالمخيم وأهله.. وأحداثه؟!..**

المخيم كائن مكاني عجيب غريب، قد لا يشبه كائن مكاني آخر في العالم. فهو مكان استثنائي طارئ وبديل عن المكان الأصلي الطبيعي (الوطن)، لذلك فهو مكان ملعون بمعنى من المعاني، ومكان مكروه لأنه بديل عن الوطن، لا يشبهه في شيء. ولكنه من ناحية ثانية هو مكان حميم، مكان حفظ لنا الهوية، حفظَ لنا اجتماعيةَ الناسِ، والحكايات، والتراث، والأحداث، والأخبار، والمساءات، والمسرات القليلة.

المخيم مكان له فضل علينا نحن الفلسطينيين من حيث إنه (انتي بوتيك) المضاد ضد الإذابة، واللا جدوى.. فكل ما فيه يذكرك بالوطن (فلسطين).. وإن كان ذلك على نحو مناقض، فهو مكان لا حدائق فيه، ولا موسيقى، ولا طيور، ولا ساحات، مكان مكتظ كأعشاش العصافير، مكان لا جذور له. هذه القحولة، هذا الجفاف، هذا العبوس.. يذكرنا بقوة.. بفلسطين بلد البساتين، والبيارات، والأنهار، والسواقي، والسهول، والروائح الذكية، والتاريخ المتجذر في أعماق أعماق الأرض.

أنا علوق بالمخيم عشت فيه، وتربيت على مشهدياته، وأخبار أهله، عرفت أزقته وبيوته الواطئة التي يتكئُ بعضها على بعضها الآخر، بيوته التي تبيت وحيدة في هجعات الليل. وعشت طقوسه.. طقوس الولادة، والمرض، والختان، والأفراح، ومشهديات الموت التي اختصت بها مقبرة صارت أكثر اتساعاً من بيوت المخيم نفسه. لذلك جاءت كتابتي علوقة بالمخيم وأهله ودلالاته الفلسفية.. فالمخيم مكاني الطارئ الذي ما زلت أعيش فيه وأتعلم منه، والمخيم مكاني الذي يأخذني إلى مكاني الأول، مكان أجدادي.. حيث تركنا بيوتنا مكرهين تحت الحراب وهي ملأى بضحكات أطفالنا، ونداءات أمهاتنا، ووقع عصي جداتنا

وأجدادنا.. تماماً مثلما هي خوابينا ملأى بالعسل، والزيتون، والزيت، تماماً مثلما هي مساجدنا ملأى بالصلوات، وكنائسنا ملأى بالإيقونات.. ومثلما هي ملأى بالغدران، وتحليق الطيور، ورنين أجراس قطعان الماشية؛ ذلك الغنى الساحر تُذكرنا به جفافيةُ المخيم.

*** لكأنك تحاول التأريخ للمخيم..؟**

بلى، المخيم ليس إلا لحظة في تاريخ الشعب الفلسطيني الموغل في القدم. لنا تاريخ عمره ستة آلاف سنة، وعمر المخيم (وقد صار مديداً) هو خمسون سنة، إنه ليس سوى تلويحة سريعة لا تثير الاهتمام لولا حرارتها، وفداحة الظلم الذي أوقعته الظروف علينا.

أؤرخ للمخيم لقناعتي بأنه زائل. سيصير [عندما نؤوب إلى قرانا ومدننا في فلسطين]، مجرد متحف مكاني يدلل على وجودنا الذي كان في ظل الإرهاب الصهيوني. سيصير المخيم متحفاً يزار من قبل الآخرين، سيأتون إليه ليروا أية حياة صعبة عاشها الفلسطينيون صغاراً وكباراً نساءً ورجالا، وأية مكابدات تحمّلوها من أجل العودة المنشودة.. كيف أسسوا بيوتهم، ومقابرهم، ومدارسهم، وكيف تناقلوا تاريخهم جيلاً بعد جيل.

*** وهل ساعدتك الرواية على القيام بمهمة التأريخ..؟**

الرواية بالنسبة إليّ هي الجنس الأدبي الذي ساعدني على كتابة ما أريده تاريخياً، حقبة للجروح الاجتماعية التي خلّفتها علة (الفقد)، وللبيوت البسيطة جداً التي سترت أهالي المخيم كالأثواب، والتي لولا الحياء الاجتماعي لذابت اهتلاكاً. الرواية سمحت لي بالعودة إلى الماضي البعيد لتدوين المشفوه الذي كاد يندثر بموت عارفيه.

obeikandl.com

*** في ضوء اهتمامك بالمخيم.. أشعر بأنك لم تهتم بما هو خارج المخيم..؟**

كتبت عن المخيمات باعتبارها مفصلاً أساسياً في حياة الفلسطينيين ومأساتهم في آن معاً، فهي أشبه بالمسافر الذي يقف بمحاذاة الطريق انتظاراً للحافلة التي ستأخذه إلى هدفه الذي نقشه داخل صدره. فالمخيمات كائنات مشدودة إلى موضوعة الانتظار، والانتظار مهما طال يظل انتظاراً ثم يذوب.

. . مع ذلك فأنا لم أقف عند عوالم المخيمات وأحوال أهلها فقط، وإنما كتبت في تجليات عديدة للقضية الفلسطينية، مثل من هو (الآخر)، وأي حوار يدار معه؟! ومن هو (العدو)، وكيف نفهمه؟! . . وهل هو كتلة موحدة في أهدافها وغاياتها؟ ثم إنني كتبتُ في أمور وقضايا إنسانية عديدة تحضّ الفرد في مشاعره وهو يواجه انحدار القيم واهتلاكها، وأحوال الاستهلاكية والهشاشة ورواسبها. الكاتب إنسان يرى، ويشعر، ويدرك، ويتحسس ما يواجهه في الحياة، ولكن من حقه أن يتوجه بكليته نحو المحرق الأساسي الذي يهدد مصيره، وتاريخه، وحياته، ومستقبله. . لهذا كان لابدّ لي من أن أعطي قضيتي الفلسطينية كل ما وهبني إياه ربي من قدرات على الكتابة، وتوظيف ثقافتي ومعارفي لبيان عدالة قضيتي في زمن الانقلابات والايدولوجيات المتصارعة ومِن ثمَّ تتم الكتابة على عجل دون معرفة بالخطوات المطلوبة. القصة القصيرة (مثل القصيدة مثل الأنهار) تحفر مجراها دونما تفكير عميق، تبدأ بالاندفاع، وكلما كانت الكتابة قريبة من لحظة التفجر الأولى كانت القصة أقرب إلى الولادة الطبيعية، أو قل أقرب إلى الظهور. والعكس صحيح. فكلما تباطأت الكتابة وابتعدت عن لحظة التفجر انطفأت الرغبة بالكتابة أو العودة إليها أو الشروع بها.

obeikandi.com

في الكتابة الروائية، الأمر مختلف جداً، هنا لابدّ من التخطيط، والتأمل، وتنسيق الأفكار، والتسلسل المنطقي للأعمار، والأجيال، لابدّ من ضبط الوصف واعتماده، ولابدّ من التقيد بالأوصاف والأنماط السلوكية التي رسمت للشخصيات.. أقول باختصار الكتابة الروائية بحاجة ماسة إلى خريطة معرفية كاملة، ومنها تنبع أو تنتج خرائط عديدة منها خريطة مكانية، وخريطة اجتماعية، وخريطة ميثولوجية، وخريطة تاريخية.. الخ.

*** كنت معروفا بكتاباتك القصصية، فلماذا تحولت إلى الرواية..؟**

حقيقة أنني من عشاق القصة القصيرة. أكتبها بمحبة عارمة. وحين أباشر الكتابة أكون بحاجة إليها تماما مثلما هي حاجة المريض إلى الدواء. أحس من خلالها بأن التوازن يعود إلي مرة أخرى، وكأنني لا أكتب القصة إلا عندما أحس بأن خللا ما أصاب جهازي الانفعالي أو العقلي أو العصبي أو الإبداعي، لا أدري لماذا وأستطيع التوكيد بأنَّ القصة القصيرة لوثة ستسكنني وقد تمكنت مني عاما. ومع ذلك فأنا عندما أكتب الرواية لا أفارقها، مكانها رفيقتي التي تجلس إلى جواري فتراقبني كيف أدير الحديث مع الرواية أو كيف أحبر صفحاتها، كتابتي للرواية لم تأت متأخرة فأنا وقبل عشر سنوات تماما، أصدرت رواية عنوانها (السواد) وقد لاقت رواجا طيبا بين القراء والنقاد وهذا ما شجعني بعد خمس سنوات على إصدار روايتي الثانية (تعالي نطيِّرْ أوراق الخريف) التي حازت على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية سنة ١٩٩٥. وكان هذا الرضا قد ساعدني على إتمام رواية كنت قد بدأت بكتابتها طوال سنوات ماضية فأصدرتها تحت عنوان (جسر نبات يعقوب) سنة ١٩٩٧ وقد أحدثت هذه الرواية نقلة مهمة في حياتي الأدبية فقد خطيت بتقريظات

عديدة ومهمة ومن أسماء أدبية ونقدية على درجة طيبة من الفهم والعمق والإبداع. إن التحول إلى الكتابة الروائية لا يعني أنني تركت القصة القصيرة أبدا وإنما يعني أن المساحات المراد أشغالها باتت كبيرة وواسعة، وقد صار من الصعب على قصة قصيرة أن تعالج جميعا دفعة واحدة. إن مساحة التراجيديا والفقر، وتواري القيم الإنسانية النبيلة، وقلة منسوب المحبة، وإصابة الناس بلوثة التخشب واليباس، وظهور سلوكيات ومظهريات جديدة كالعزف على قولة (يا وحدنا) والانفرادية البشعة، والأمراض النفسية (كالعزلة، والشك، والعدوانية، وعدم الطمأنينة للآخر) كلها دفعتني إلى كتابة الرواية ولكن أحس بأن ما من شيء يقوى على إبعادي عن كتابة القصة القصيرة لأنني أمضي إليها بدوافع روحية.

*** تركز في أعمالك كثيراً على موضوع التعايش بين المسيحية والإسلام في فلسطين..؟!**

أجل، هذا الموضوع يشغل بالي كثيراً لسببٍ بسيط هو أن السيد المسيح جدي، فهو فلسطيني، والحياة المسيحية والإسلامية.. منذ أزمان بعيدة، لم تعرف سوى المحبة التي دعا إليها السيد المسيح. الآن، ومنذ ستين سنة، لم تعانِ بلادنا فلسطين من غياب مثلما تعاني من غياب المحبة، منذ ستين سنة تحتشد بلادنا، بسبب الغزاة الصهاينة، بالألم، والقهر، والتعذيب، والقتل. ومن أجل محو هذا المُناخ غير الإنساني لابدَّ من التأكيد على التعايش المسيحي الإسلامي لأن ما يحدث منذ ستين سنة (زمن الاحتلال) يحدث ضد المسلمين والمسيحيين بشراً، وشجراً، وتراثاً، وأمكنة عبادة وسكن معاً. أما عندما أكتب عن هذا التعايش فإنما أكتب مناصرةً للمظلومين ضد ظلّامهم الصهاينة، وإنصافاً لتاريخهم ومقولاتهم الإنسانية، وضد التاريخ الدموي الجديد الذي يكتبه الصهاينة

بالحديد والنار والإرهاب. المسيحيون إخوة المسلمين في كلّ المواقع: في المدن و القرى و الأودية و الخنادق والثقافة و السجون و الألم و المقابر والحزن.

*** أيضاً، تبني رواياتك على الحكايات والأسطورة..؟**

طبعاً، فهما النبعان الأكثر حضوراً ورواءً بالنسبة للكاتب الروائي. الحكاية الشعبية نبع، ومنجم.. كلاهما لا ينتهي. والأسطورة.. نبع ومنجم.. كلاهما لا ينتهي أيضاً. وبلادنا فلسطين بلاد الحكايات الشعبية، التي تتحدث عن التعب الجميل الذي وسم حياة المواطن الفلسطيني حتى أقام ظلَّ الله في هذه البلاد الرائعة، وبلادنا فلسطين بلاد الأساطير التي لا تنفد أسرارها، ولا تطوى جمالياتها.. وبلادنا فلسطين بلاد الحضارة، والخصب، ومعايشة الأديان، والعقائد، والتعددية..

كلّ هذا.. يجعل الرواية كائناً يسعى للرواء من نبعيّ الحكاية والأسطورة.

*** في روايتك (أنين القصب) لوحظ اعتمادك الكبير على القص الشفهي، ما مدى دقة هذا الأمر..؟**

أحياناً، وفي مرات قليلة ونادرة، لا أستطيع أن أظل على صراحتي المعهودة في الحديث عن أعمالي كي لا أجرح مشاعر النقاد، والقراء الذين رأوا في عمل من أعمالي، ومنها (أنين القصب) ما رأوه، صحيح أنني أضع أسطراً في مقدمة رواياتي عادة أقول فيها إنني فعلت كذا وكذا، وإنني أخذت كذا وكذا ولكن الحقيقة ليست كذلك، فالأمر يظل مجازياً، وهو لعبة فنية يقتضيها مقام الفن. لا يظن أ حد أن الأمر خدعة، وإنما هو محاولة في الإيهام الإبداعي، أو قل مكيدة فنية، غايتها أخذ القارئ إلى

العوالم المكتوبة ظناً منه (وبسبب اقتناعه بما قلته في أسطر التقديم) أن المكتوب هو تاريخ مكتوب سابقاً، وما أنا سوى جامع له. الأمر ليس كذلك إطلاقاً. ففي رواية (أنين القصب) التي بكى معها الكثيرون وهم يقرؤونها، مكابدات الذات التي احترقت بمصداقية العذابات الفلسطينية (وما أكثرها).. وقد شددت نفسي إلى الإيقاع الواقعي لأجعل،عبر الوصف والتصوير، ما يقرؤه القارئ أمراً طبيعياً لا صنعة فيه ولا تركيب، وأظن أن هذا الأمر من الأمور الملحة في وجودها داخل النص الأدبي، عنيت أن يبدو النص اشتقاقاً طبيعياً. وليس قصة مكتوبة.

(أنين القصب) مدونة تاريخية-اجتماعية-ميثيولوجيّة فيها المعتقدات، والمميزات، والحكايات الشعبية، والطقوس، والأعياد، والمعايشات الفلسطينية التي كانت بمحاذاة النهر العظيم نهر الأردن.. قبل خروجهم القسري... لتدلل على أهمية حياتهم وخصبها أيضاً. أما ماهو الحقيقي وماهو غير، فالأمر غير مطروح في الرواية أو الكتابة الأدبية. المطروح هو هل هذا النص ناجح، وفني، وموظف، ومقنع، ومهم.

*** لفتت انتباهي طريقة كتابة الرواية، وترتيبها،والحواشي والإضافات التي اعتمدتها..؟**

أنا مدين لقراءاتي التراثية التي علمتني الكثير، ومن أفضال تلك القراءات عليَّ هو أنني تعلمت أسرار التدوين وأساليبه وطرائقه العربية الصرفة والتي تعتمد الطيّ، والمضايفة، والاستهلال، والأخبار، والتعقيب، والحواشي، والالتفات، والمساررة، هذا ناهيك عن كتلتي: المتن، والهامش.

لقد أدركت، أن كسر الرتابة البصرية داخل النص الروائي أمر مطلوب جداً، وقد قام به أجدادنا كتبة التراث، فالقطع عبر العنوانات،

والمضايفات.. هو قطع وظيفي؛ غايته كسر الرتابة البصرية، وليس قطع الوظيفة السردية..

*** لاحظت أيضاً، في روايتك (أنين القصب) تطرقك إلى الحدث السياسي بجمل قصيرة.. إلا أنها كانت معبرة وكافية..؟**

داخل الرواية مرآة تاريخية.. لذلك لا يمكن تجاوزها أو تخطيها، ومن المرتسمات التي ظهرت عليها بعض الإشارات الزمنية والمكانية التي لها دلالات سياسية أو فكرية أو عقيدية.

أنا لا أكتب بقرار خارجي. وإنما أ كتب بسبب إيماني العميق بدوري ككاتب، يعيش تاريخياً استثنائياً، هو التاريخ المقاوم للشعب الفلسطيني. إن المقاومة وظروفها وغاياتها، تمنح الكاتب الفلسطيني شرف المشاركة بهذا التاريخ عبر إبداعه، وهي فرصة غير متاحة للآخرين.. بسبب هذه المقاومة،وبسبب إيماني العميق بعدالة قضيتي.. أكتب، وغزارة الإنتاج ليست تهمة أو سبة.. إن كانت ناجحة فنياً، وستكون كذلك إن كانت هشة ورخوة وباهتة.

*** استوقفتني في روايتك الأخيرة (مدينة الله) بلاد سيدنا المسيح.. قدرتُك على رسم القدس بتفاصيلها الدقيقة وكأنك عشت فيها طوال عمرك..؟**

لم أعرف القدس إلا عبر الكتب والذكريات التي قصّها عليَّ جدي الذي زارها في شبابه مرات عدّة، عشت تاريخ القدس مكاناً، وعمراناً، وخصباً، وحلماً.. وعرفت كم أوذيت المدينة، وكم دفع أهلها من الأثمان الباهظة.. فقد خرّبت كثيراً، ودمرت أحياؤها مرات كثيرة، وقتل من أهلها الكثير الكثير حتى أصبحت المقابر أقواساً متصلة تحيط بها..

المدينة مدينة أنبياء، وعقائد، ورسالات، وعمران، وجمال، وأحلام، وصداقات، ومسرّات، وطمأنينة وسلام، وأسرار، وأعلام، ولغات، وثقافات، وأبواب، وتواريخ، وذكريات.. لذلك فإن الكتابة عنها تحتاج إلى إرادة وعزيمة، كما تحتاج إلى حفر معرفي غير مسبوق، وإلى نوارنية مستمّدة من نوارنية السماء، وإلى موهبة حباها الله بالصفاء والاصطفاء، وإلى روح طوّافة، وعقل محوّم كالطيور.. وحيرة لا ترضى بالمكتوب البسيط الهيّن.. لكل هذا جالست القدس سنوات طوالا قراءةً، ومشاغلةً، وأسئلةً ومداورةً، وبحثاً، ورسماً طبوغرافياً، وحلماً.. كلما قرَّ في واعيته أنه ارتوى راح يشعر بالعطش الأبدي.. فالقدس كمكان، وذاكرة، ووطن.. لا يمكن حكمها إلى الورق دونما حب وعشق وتوحّد مع كل ذرة تراب فيها.. فقد حاولتُ القدس كتابةً لكنها تمنّعت عليَّ كثيراً، وراودت تاريخها فاستبطن عليَّ، وماشيت أسواقها وحاراتها مؤاخاة لكنها لم تسلم قيادها إليَّ، وواقفت أبوابها فأخذتني إليها تائهاً في مراياها..

لهذا أقول إن الدقة التي أبدتها تفاصيل رواية (مدينة الله) تجسّد خوفي من جمال القدس الخرافي الذي يكاد ينطق لولا الحياء، وأصارحك بأنني أزداد خوفاً كلّما ظنّ قرّاء الرواية أنني مقدسي عشت حياتي كلها في القدس المباركة.

*** عاش الروسي فلاديمير بودنسكي، بطل الرواية، في علاقته مع يهودية تعمل باحثة اجتماعية في السجون الإسرائيلية، تناقضاً ذاتياً.. يبدو من خلال عشقه للقدس من جهة، والتمرغ غير العقلاني بين ذراعي قاتلة وسجّانة من جهة ثانية.. ترى ما الذي أردت قوله من خلال هذه العلاقة..؟**

أنا من المؤمنين بالحوار، وتقريب المسافات بين الخلق جميعاً، وقد حاولت في هذه الرواية، ومن خلال ثنائية الحب التي عاشها فلاديمير مع

سيلفا السجانة أن أمحو الآراء المسبقة، أو ما يسميه أهل الفلسفة بالتمذهب المسبق، لكن علاقة الحب مضت إلى نهايتها الحتمية المجسّدة بالقطيعة ما بين روح عاشقة، وروح لا تعرف العشق، روح تعيش الحياة من أجل الحب يمثلها فلاديمير، وروح تعيش الحياة من أجل قهر الآخرين وإذلالهم تمثلها سيلفا.. والروح الأولى صافية وذات وجه واحد، والروح الثانية روح ذات ثنائيات قاتلة.. ومشهديات الحب التي صوّرتها الرواية غايتها رسم المفارقة ما بين حال وحال، وما بين عالم وعالم..

فالسجّانة الإسرائيلية سيلفا حين تصل روح الانتقام عندها إلى الذروة، تسعى إلى تفريغ الشحنات الانتقامية، وإخراج صور التعذيب والبطش والقتل من رأسها عن طريق مشهديات الحب التي عاشتها مع فلاديمير.. ولأن الحب يصقل الروح ويسمو بها.. فإن سيلفا تحول بين نفسها وبين هذا السمو حين تعود إلى السجن لتمارس دورها كسجانة ترى في عملها رسالة وطنية.. وفلاديمير الذي جاء زائراً للقدس تماشيه روح صافية رضية مشدودة إلى أوتار الحب والطمأنينة.. لكنه يرى وهو يجول في شوارع القدس وأسواقها وحاراتها.. الظلم الفادح الذي يتعرض له المكان والإنسان معاً، ويدرك الاذيّات التي تلحق بالتاريخ والمعاني.. لذلك يعود إلى مكان سكنه مهموماً مغموماً.. فلا يخرج من حزنه إلا عبر مشهديات المودة واللطف المتخلقين من اجتماع عالمي الذكورة والأنوثة.

*** السجانة " سيلفا" في الرواية تمثل قسوة السجون وغربتها، وهي تخط بيدها خطوطاً حارقة على الأجساد الفلسطينية، وباليد ذاتها تبحث عن المتعة في أجساد أخرى.. ترى ما الثنائية هنا..؟**

إنها ثنائية الارتباك والخوف والقلق واللا أمن.. ثنائية السارق الذي تقول له مسروقاته يومياً وفي كلِّ لحظة إنه سارق.. وسيلفا هنا.. سارقة

لإنسانية السجناء الفلسطينيين (ذكوراً وإناثاً)، كما أنها سارقة لإنسانية فلاديمير بودنسكي.. فصدقه، وحبه، ومودّته.. لا تقابلها سيلفا إلا بالسرقة. ثم إن هذا الارتباك والخوف والقلق واللا أمن.. البادي عند سيلفا هو نفسه الارتباك والخوف والقلق واللا أمن البادي في الكيان الصهيوني في اجتماعه العام.. وقد صوّرت الرواية تعاظم حالات الارتباك، والخوف، والقلق، واللا أمن التي يعيشها الكيان الصهيوني على الرغم من وجود القوة الباطشة.

*** ما هو برأيك سبب عشق (فلاديمير بودنسكي) الروسي، و(جو مكملان) الايرلندي لـ فلسطين..؟!**

منطق الرواية يقول إن سبب عشقهما لفلسطين عامة والقدس خاصة يعود إلى إيمانهما بعقيدة سيدنا المسيح أولاً، وإلى قراءتهما التاريخية، والقصصية، وسير القديسين ثانياً.. ناهيك عن أن فلاديمير بودنسكي كان متزوجاً بفتاة فلسطينية من مدينة عكا.. هذه الزوجة هي التي عرّفته بفلسطين التي ما كان يعرف إن كانت في قارة أفريقيا أو قارة أمريكا.. إن أصل العشق عائد إلى القدس، فكلاهما جاء ملبياً نداء القدس النداهة.. ولم تفتك روحه من حبها الأسر.

*** كما التعلق بالأرض والتشبث بها يولدان مع الجسد الفلسطيني.. يولد الخوف والقلق مع الإسرائيلي ين كما وصفتهم في الرواية.. ترى هل يعود هذا إلى فقدانهم أسباب التمسك بالأرض..؟**

طبعاً هذا صحيح، فهم يعون جيداً أنهم لصوص سرقوا الأرض الفلسطينية، كما سرقوا حقوق الفلسطينيين في العيش فوق أرضهم امتلاكاً لها وتصرفاً بها، ثم إنهم يعون جيداً بأن الأرض ليست لهم، وقد حازوا

عليها بالقوة الضاربة، والمال الأسود، والظروف اللئيمة.. لقد صكوا القوانين من أجل سرقة (أرض الغائبين)، وعدم (عودة اللاجئين)، و(سجن الباقين)، و(مطاردة المناضلين)..

هؤلاء الصهاينة يدركون جيداً، وعبر قراءاتهم للوثائق وكتب التاريخ، أنهم لم يكونوا أصحاب أرض في أي بقعة من بقاع العالم.. لأنهم كانوا يعيشون حياة الترحال والانتقال من مكان إلى آخر.. الرأس الصهيوني إذا ما فتحه المرء لن يجد فيه أي سطر يدعو إلى الإقامة، وامتلاك الأرض، وتأسيس دولة.. في الرأس الصهيوني يوجد شيء واحد فحواه السعي إلى امتلاك المال وقهر الآخرين به. فهم لم يتربوا على مفهومات تدعو إلى الالتصاق بالمكان، والعمل بالزراعة.. وانتظار دورة الفصول.. وإنما تربوا على مفهومات رعوية تقول: مكانك هو حيث يوجد الماء والكلأ.. لذلك كانوا نهّابين في كل المجتمعات التي عاشوا فيها، وبسبب روح النهب التي تمكنت منهم.. كرهتهم مجتمعات الدنيا كلّها.. ومن لا يصدق كلامي لينظر في الآداب العالمية وما كتبه دوستويفسكي، وبوشكين، وغوغول، وتورغنيف، وشكسبير، ولوركا... الخ..

*** في الحوارات التي ضمّتها الرواية بين (فلاديمير بودنسكي) وعدد من الإسرائيليين.. لوحظ التناقض في مروياتهم بخصوص انتمائهم وعلاقتهم بالقدس على الرغم من الثقة التي كانوا يحاولون إظهارها.. كيف توضح الرؤيا..؟**

مهمة الرواية أن تكون مؤمنة بالتعددية والتنوّع، وأن تكون ساحة للحرية والديموقراطية كي لا تسقط في فخ التحديد والمباشرة والرأي الواحد أو المفرد، وقد أبدت رواية (مدينة الله) إيمانها هذا عندما جسّدت الحوار بين شخصيات مختلفة ومتعددة في الاعتقاد، والرؤية، والطموح

في أكثر من موقع من مواقعها وذلك من أجل عرض وجهات النظر المختلفة والمتناقضة حول الموضوع الواحد، أو حول الحادثة الواحدة، أو حول المعنى المستقبلي.. دائماً تبدو حجة الغاصب أو السارق ضعيفة، فهو غير قادر على تسويغ ما قام به من فعل غير أخلاقي لذلك يقع في التبريرية الهشّة الباهتة غير القادرة على الإقناع. والقوة التي يمتلكها الغاصب لا تستطيع محو التناقض ما بين الخيّر والشرير كما لا تستطيع تسويغ العمل اللا أخلاقي الذي اقترفته يداه.

*** إذا عدنا إلى السجون وآلامها نستطيع كشف المقدار الذي ينطوي عليه خوف الإسرائيلي ين من الدم العربي المراق، هنا أسألك عن نظرتك إلى ثنائية الجلاد والضحية داخل السجون وخارجها..؟**

الغاصب الإسرائيلي خارج السجون هو نفسه الغاصب الإسرائيلي الذي يمنع المسيحيين والمسلمين من الصلاة في دُور العبادة، وذلك لأن الغاصب مؤمن بهدف واحد هو إبادة الشعب الفلسطيني، وهذا ما لم يستطع عليه منذ ستين سنة، لا بل إن خشيته من الفلسطينيين تتكاثر وخوفه يتعمّق ويكبر.. لأن الفلسطيني يزداد إصراراً على استعادة الأرض واستعادة الحقوق التي سُلبت منه، لا بل إن الفلسطيني يكسب في كل يوم مساحات من الظفر ولو على الصعيد المعنوي افتكاكاً من يد الغاصب. صحيح أن الغرب الأوروبي والأمريكي موحّد حول قضية حماية (إسرائيل) ككيان والحفاظ على أمنها.. لكن الصحيح أيضاً أن الغرب الأوروبي والأمريكي الذي عرفناه في تواريخ مثل (١٩٤٨) و(١٩٦٧) ليس هو الغرب الذي عرفناه في السنوات الأخيرة، الغرب اليوم يقول لقادة (إسرائيل) وبوضوح إنه غير قادر على الدفاع عن الأفعال اللا أخلاقية التي يقترفونها ضد الفلسطينيين، وأن حمايته لهذا الكيان أضرّت بمصالحه، وأنه بات يخسر أكثر مما لو كان يربح بسبب هذه العلاقة.

الإسرائيلي في رواية (مدينة الله) بوصفه جلاداً وظالماً ومعتدياً وقاتلاً يخاف من ضحيته الفلسطينية، يخاف منها نهاراً عندما تبدو متعددة ومتكاثرة في وجوه جديدة، ويخاف منها ليلاً لأنه يهجس بخروجها إليه من وسط الظلام من أجل الانتقام منه.

وما يحدث في السجون الإسرائيلية يشبه من حيث الفجيعة ما يحدث في المقابر، فالإسرائيلي يعمل طوال الوقت على قتل الروح الوطنية للسجناء الفلسطينيين والأسرى.. كي تبدو هزائمهم في مرايا الآخرين.. لكنه يفشل.. لأن السجناء الفلسطينيين حوّلوا السجون إلى مدارس للتعليم والبحث العلمي واكتساب المعرفة واللغات الجديدة، كما حولوها إلى مدارس في الوطنية والنضال.. عبر متوالية جيلية تتوارث الصمود والمقاومة مثلما تتوارث الأشجار المواسم.

*** في رواية (أنين القصب) قصة حب غريبة عجيبة تجمع ما بين (شتيوي) و(دندي).. ترى هل هذا الحب هو حب بين إنسانين أو هو حب رمزي بين الأرض والإنسان..؟!**

لولا الحب لما اجتمع الناس. ولولا الحب لما كانت المجتمعات.. ولولا الحب لما كانت الأوطان، ولولا الحب لما كان العمران.. قصة الحب بين (شتيوي) و(دندي).. هي قصة حب رعوية ملأى بالاحباطات.. مثلما هي ملأى بالأمل.. فالحياة الرعوية لا تعرف اليأس ولا القنوط.. لأنها حياة مؤسسة على المواسم.. ودورة الحياة المستعادة دائماً.. إنها تمثل تراجيديا الحب والارتباط، وتراجيديا الأمل والطموح، وتراجيديا الصبر، ليس على الصعيد الشخصي لاثنين تحابا وتعاهدا على الإخلاص، وإنما هي تراجيديا الصبر الذي يأتي بالمحموم والمرتجى..

*** أعود إلى (مدينة الله) هل ترى بأنها تجاوزت (أنين القصب) و(جسر بنات يعقوب)..؟**

أعتقد أنني فعلت ذلك، لأنني أريد نقل قارئي الكريم إلى جماليات، ومعطيات أدبية وإبداعية وإنسانية جديدة تماماً. .

*** يؤخذ عليك أنك غزير الإنتاج، وسؤالي هنا كيف تكتب، بمعنى آخر هل تكتب بقرار، أم أن الحدث يدفعك للكتابة، أم ماذا؟!..**

من يعرف (الفرن) الفلسطيني، ومن يعرف حرارته يدرك مباشرة أنني لست غزير الإنتاج، وأن ما أكتبه قليل جداً مقارنة مع تطلعاتي، وأحلامي،وأفكاري، ومساهرتي للأحداث، وبحثي عن الأرواح، التي تحترق بكل الرضا والمصداقية.

obeikandl.com